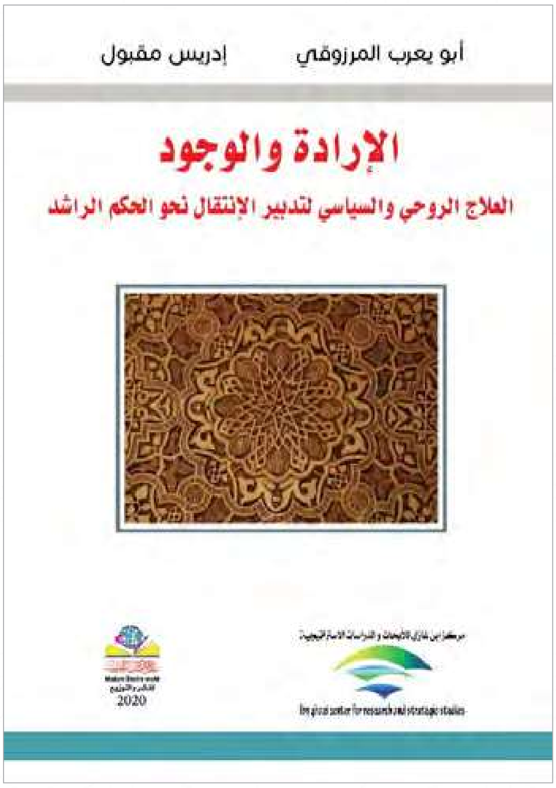
# «الإرادة والوجود: العلاج الروحي والسياسي لتدبير الانتقال نحو الحكم الراشد»

## د. أبو يعرب المرزوقي / د. إدريس مقبول

**Review of Abou Yaareb Marzouki's & Idriss Makboul's Book *Will and Existence: The Spiritual and Political Treatment for Managing the Transition to Democratic Governance***

عرض وتقديم: **د. مونعيم مزغاب**[1]




### مقدمة:

تعززت المكتبة العربية بإصدار جديد يهم التنظير الاستراتيجي لتدبير مرحلة الانتقال نحو الحكم الراشد، ضمن منشورات مركز ابن غازي للأبحاث والدراسات الاستراتيجية/ المغرب، ألفه الثنائي: أبو يعرب المرزوقي التونسي أستاذ الفلسفة اليونانية، وإدريس مقبول المغربي أستاذ اللسانيات العامة.

طُبع هذا الكتاب الثنائي بعالم الكتب الحديثة /إربد - الأردن ، سنة 2020، تحت عنوان: «الإرادة والوجود، العلاج الروحي والسياسي لتدبير الانتقال نحو الحكم الراشد»،

(1) باحث بمركز زيري بن عطية للأبحاث والدراسات - وجدة - المغرب.

وجاء في 166 صفحة من الحجم المتوسط، على شكل مقالات متناوبة بين المؤلفين مثنى مثنى بلغت اثنا عشر مقالا، وقدَّم له الدكتور مقبول -بإيعاز من زميله الفيلسوف المرزوقي- بمقدمة كشف فيها عن اللقاء المباشر للمؤلفين أول مرة بالمجلس الأعلى للثقافة بالقاهرة منذ أزيد من عشر سنين، مع استمرار التلاقي الفكري نظرا لوجود «غايات مشتركة» بينهما، تتمثل أساسا في النظر الفلسفي والمعرفي في عمق إشكالات التغيير المنشود وتجاوز الأزمة المركبة للأمة الناتجة أساسا عن الانقلابين السياسي والروحي منذ القرن الأول الهجري.

## أولا. العنوان ودلالاته الإشكالية

عنوانُ الكتاب مستوى من معاناة اللقاء بين أقطاب أربعة (الفلسفة والتاريخ والسياسة والدين)؛ وإن كان العنوانُ تعبيرا إبداعيا في الفلسفة الإحيائية للمؤلف الأول المرزوقي عميد الفلسفة العربية والإسلامية، فإنها صورة عاكسة للتعبير القرآني عن قيمتي (العدل والإحسان) في سورة النحل المترجمةِ لمدخلٍ أساس في علاج القهر والترف ولتجاوز الأزمة السياسية التوريثية والأزمة الروحية التقليدية، أبدع المؤلف الثاني د. مقبول في نحت أصولها الكلية وتفاصيلها الجزئية.[(1)]

و ثنائية الإرادة والوجود، تُضمر بين طياتها وتختصر خماسية المقومات الإنسانية التي عليها يتأسس - حسب المرزوقي - مبدآ الكونية القرآنية المستمدة من الآية 1 لسورة النساء[(2)] والآية 13 لسورة الحجرات[(3)].

هذه المقومات الخمسة التي تبدأ بالإرادة مرورا بالعلم والقدرة والحياة انتهاء بالوجود، محدداتٌ أساس لإعادة صناعة النخبة الطبيعية لا الاجتماعية والاقتصادية حسب نظرية المرزوقي في كون الانتخاب شرط للعنفوان الوجودي للأمة، وهي أيضا شروط ضرورية للسيادة والندية المنشودة في العالم[(4)].

---

(1) انظر: المرزوقي، أبو يعرب، ومقبول، إدريس، الإرادة والوجود - العلاج الروحي والسياسي لتدبير الانتقال نحو الحكم الراشد، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 2020، ص 7.

(2) قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا}.

(3) قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ}.

(4) الإرادة والوجود، م س، ص43.

وبناء على ذلك فـ»الإرادة والوجود» هما «قطبا الخروج النظري والعملي من أزمتي الأمة التاريخيتين، المتجسدة في الوصاية السياسية التي خلفت «التوريث» والتأبيد والوساطة الروحية التي خلفت الجمود والتقليد[1]، وذلك هو المدلول المباشر للعنوان الفرعي للكتاب: العلاج الروحي والسياسي لتدبير الانتقال نحو الحكم الراشد.

## ثانيا. الكتاب: موضوعه وسياق تصنيفه

تختزن مقالاتُ الكتاب الذي بين أيدينا المعروضةُ في شكل تسلسلي منطقي غايةً في الإحكام حوارا تكامليا بين جيلين وأُفقين، يهدف تشابكهما إلى التوجيه الحكيم للقارئ النبيه إلى مفاصل الجواب الشافي عن كيف تأثر الإرادة الإنسانية الواعية في صناعة وجود حقيقي قادم للأمة يتجاوز أعطاب الماضي وأثقال الحاضر، ويقدم قواعد هندسة الوجود وآليات صياغته المؤسَّسة على إصلاح الحال المادي والبال الفكري المعنوي.

يركز موضوع الكتاب على قضايا الإنسان والعمران، وتوسيع مفهوم التدين تحقيقا للانتظارات الحضارية للأمة، ويراهن على التربية باعتبارها مصدرا للتحرير وعلى العلم باعتباره مصدرا للتنوير، من خلال قراءة جديدة في إشكاليات التجديد الذي يرى المرزوقي أنه وقع على مستوى الأذهان ولم يقع على مستوى الأعيان، فهو الآن شبه ممتنع نظرا لتراكم القطيعة منذ أربعة عشر قرنا، مقترحا - نظرا لعدم إمكانية اجتماع خصائص النخبة ووظائفها التي تجسدت في النبي وهو شخص واحد – ما يمكن الاصطلاح عليه : (الاصطفاء في الجماعة)[2] مدخلا للنهوض الحضاري المرتقب.

والكتاب وليد سياقٍ معرفي جمع بين أبي يعرب ومقبول، رائده الاهتمام النظري المشترك الباحث في «سؤال التغيير»، وإن كان من زوايا نظرية وفكرية مختلفة من حيث الخلفية الفلسفية، إلا أنها متقاربة إلى حد التطابق العام في جوهر تشخيص أزمة الأمة باعتبارها نتاجا للانقلاب السياسي والأخلاقي في فجر التاريخ الإسلامي، وفي تفاصيل اقتراح واجب الوقت الحضاري المتمثل في إحياء الوجود الثاني للأمة جبرا لما انكسر من مقوماتها عبر توالي قرون الاستبداد والفساد عن طريق المدخل الروحي التربوي والمدخل السياسي التدبيري.

وقد جاءت مقالات الكتاب على الشكل التالي:

(1) م ن، ص 7.

(2) الإرادة والوجود، م س، ص 54.

- فقه الانتقال وطلب قيم الرشد (مقبول)
- فقه الانتقال إلى الحكم الراشد: مدخل مفهومي (مقبول)
- الربيع: مشروع للتحرر واستكمال التحرير (المرزوقي)
- نظام الانتخاب: شرط العنفوان الوجودي (المرزوقي)
- المجتمع المدني وتأسيس الحكم الراشد (مقبول)
- دور المجتمع المدني في ترسيخ الحكم الراشد (مقبول)
- معادلة الثورة العربية الإسلامية (المرزوقي)
- الجمهورية الثانية: معيقاتها وشروط نجاحها (المرزوقي)
- في شروط الانتقال ومترتباته (مقبول)
- القواعد العشر في الانتقال الآمن (مقبول)
- الاستراتيجيا: تحقيق شروط المقاومة والقيام (المرزوقي)
- الإسلام: استئناف دوره فرصة الإنسانية الثانية (المرزوقي)

## ثالثا: الكتاب من الوضوح الإشكالي إلى الإبداع المنهجي

إذا كان القارئ لا يجد صعوبة في اكتشاف الإشكالات التي ينطلق منها الباحثان نظرا لوضوحها بدءً من العنوان مرورا بالتقديم وصولا إلى تفاصيل المقالات، بل لا تخطئ عينُه أن الكتاب إنما هو حلقة في سلسلة «مشروع حياة» نذر المؤلفان نفسهما له، وهو ما لمح إليه د. مقبول مرارا وصرّح به د. المرزوقي في قوله «ولعلاجها (أزمة الأمة الحضارية) نذرتُ نفسي تحليلا وتأويلا لأنه لا يمكن لأمة لم تفهم ما أصاب روحها من اهتزاز أن تكون قادرةً على الفعل الموجب.»(1)

فإن تحديد معالم الإبداع في اتخاذ مسالكَ منهجيةٍ مُحكَمة يتطلب الكشف عن بعضٍ منها في هذا العرض السريع من خلال التنبيه إلى توسُّل البحث بمقاربة تحليلية تأويلية مقارنة، تمتحُ من مناهج العلوم الإنسانية والاجتماعية والسياسية، دونما انقطاع عن الأصول

(1) الإرادة والوجود، م س، ص 76.

التراثية من فقه وأصول وتفسير، انفتاحا على الخبرة العالمية والتجربة الإنسانية المعاصرة في مجال التدبير الديموقراطي والانتقال السياسي ووظائف المجتمع المدني والنخب الفاعلة في «الوجود».

ومن خلال استكشاف طريقة المصنِّفَين في التأليف يمكن تحديد مسالكه المنهجية كما يأتي:

## مسلكُ تسلسلِ الأفكاروتناسقِ العرض:

إن كان عاديا جدا -باعتبار مكانة الباحثَين العلمية والأكاديمية- على مستوى البناء الداخلي لمقالات كل كاتب أن تجد نفسك تنتقل بسلاسة من فكرة إلى فكرة أشمل منها، ومن سؤال إلى أجوبة تفصيلية، ومن عرض فكرة قديمة إلى تقويم ونقد لها، فإن الأجمل هو ذلك التناسق الكبير في الانتقال من المقالات الثنائية لكل كاتب إلى المقالات الموالية لزميله، هذا التناسق والانسجام قد لا يظهر في عناوين المقالات لكنَّ الغوصَ في تفاصيل الأفكار المعروضة يُرغمك على إدراك الارتباط المنهجيّ على مستوى «ماذا يريد الكاتبان» لا على مستوى «كيف يكتب الكاتبان»..

فمثلا : تركيز الدكتور مقبول في الفقرتين الأولين الخاصتين ب «فقه الانتقال إلى الحكم الراشد» على ضرورة طلب قيم الرشد وتمثلها وهي الشورى والحرية والعدالة وسيادة المسؤولية والمساواة أمام القانون وحق المشاركة في صناعة القرار.. .يقابله في مقالتي المرزوقي المواليتين عن (مشروع التحرر واستكمال التحرير) تركيزا على «القيم»، حيث إن الربيع العربي الذي جمع بين «قيم الإسلام الروحية وقيم الحداثة المادية شرطي حرية الإنسان وكرامته- فهو سينجح حتما مهما اعترضته مقاومة الأنظمة القبلية العسكرية»[1]

والأمثلة كثيرة على هذا التناغم الفكري، وهو يُحسب للمؤلفَين في قدرتهما على تجاوز منهجية بعض الكتب الجماعية ذات مسلك «الجُزر المتنافرة».

وقد أفصح د. مقبول عن هذا المسلك حين قال :»وقد اخترتُ أن أرتب موضوعات الكتاب المشترك ترتيبا يخدم فكرة التسلسل والتناسق ثم عرضته على أبي يعرب المرزوقي ليوافق عليه قبل نشره.»[2]

(1) م ن، ص 31.

(2) الإرادة والوجود، م س، ص 7.

## المسلك السياقي التطبيقي:

بعيدا عن النمط الفلسفي المغرق في التجريد، نُلْفي واقعَ الأمة بتعقيداته السياسية والتدبيرية وعلاقاته الدبلوماسية والعسكرية وسياقاته المحلية والإقليمية والدولية حاضرًا بقوة في الهندسة الفكرية للعلاج المنشود للأزمة ..ففي الوقت الذي نجد الأستاذ إدريس يستدعي التجارب السياسية المعاصرة في بلدان شبيهة بتجارب الحكم في البلاد العربية، وعلاقات المجتمع المدني بالسلطة، والتفاعل الشعبي مع المتغيرات في مراحل الانتقال السياسي، وتشكيل الجمعيات التأسيسية لصناعة الدساتير الجديدة، فيستحضر مثلا تجربة جنوب إفريقيا[1]،وتجربة الإسبان وأوروبا الشرقية[2]، وتجربة فرنسا وأمريكا[3]، للاستدلال على وجوب تقوية الرأسمال الاجتماعي، واستعادة المجتمع المدني للمبادرة واليقظة والمراقبة، ليتمكن من إعادة وظائفه الحقيقية المسروقة منه لقرون طويلة؛ وأن صياغة الدستور في المرحلة الانتقالية للحكم الراشد، وتقليص مساحة صلاحيات الحكم الفردي، والفصل بين الحاكمين والمؤسسات وتحديد كافة السلطات بطريقة سلمية توافقية يجعلها مرحلة اندماجية وطنية، فإن الأستاذ المرزوقي ينطلق أساسا من واقع التجربة التونسية وتحديات التوافق السياسي، مستدعيا المحيط الإقليمي العربي خاصة تجربة سوريا ومصر وإشكال التعامل مع ثلاثي «إسرائيل» وإيران وروسيا ليؤسس قواعد نظرية متفاعلة مع الواقع غير منفعلة به يكون التمسك بها عاصما من تكرار التجارب الخاطئة وتضييعا للفرص السانحة مع « تمكين شباب الثورة من عدم الوقوع تحت سيطرة العُقد التي يراد زرعها في نفوسهم وبيان شروط الاستئناف الطموح لاستعادة دور الأمة بوحدة أحيازها وبنظام النخب بمنطق الفاعلية الطبيعية في الجماعة.» [4]

فلا يحلق بك الكاتبان في سماء التنظير الفكري ذي المنزع التجريدي بل تجدهما مقبلين غير مدبرين عن تفاصيل واقع الأمة المعاصر، وهما بذلك يشكلان نموذجا للمثقف المتولد من رحم معاناة الأحداث المحيطة به لا المثقف المتعالي عن المخاطر المحدقة بمصير الأمة.

---

(1) الإرادة والوجود، م س، ص 62.

(2) م ن، ص 64.

(3) م ن، ص 62.

(4) م ن، ص 48.

## مسلك اتباع المنطق القرآني في التحليل والاستدلال:

اِزداد إبداعُ صاحبَي «الإرادة والوجود» جمالا حين نجحا في المزاوجة بين المسلك المذكور أعلاه المتعلق بتوظيف السياق المعاصروالأحداث المتسارعة عبرربوع الوطن العربي والإسلامي، وبين اتباع المنطق القرآني وروحه في تحليل الأفكار والوقائع في بُعدها الزمني والمكاني، وفي الاستدلال على البناء الهندسي للمنظومة المقترحة من القواعد العلاجية للأزمة الحضارية التي طال أمدها.

فالخطابُ القرآنيّ بمصطلحاته ومفاهيمه وتجلياته السلوكية وتوجهاته الروحية يسيطر بقوة على روح البحوث الثنائية بسلاسة عجيبة.. بل هو جوهر الاقتراح العلاجي.

فتجسيد قيم التوجيه العليا -حسب مقبول-[1] من خلال قيام المجتمع المدني بوظيفته الرقابية والتوجيهية والاستشارية لمؤسسة الدولة في الحكم الراشد إنما هو إعمال لسيادة قيم القرآن العليا يُستقى أساسا من مفهوم «خلافة الأمة» ومفهوم «الوراثة النبوية».

وينطلق المرزوقي من الآية 38 من سورة الشورى ليستدل على أن الأمة وأمرها موضوع بين الوحدة الروحية (الاستجابة لله) والوحدة الاقتصادية (الإنفاق)، وهما شرطا تكوّن الأمم والدول القادرة على حماية نفسها ورعايتها لتكون سيدة وحرة روحيا وسياسيا.[2]

ويدعو مقبول[3] لتقوية المجتمع المدني ولربط المسؤولية بالمحاسبة في كل مؤسسات الدولة بدون استثناء من خلال رفع الحصانة عن الجميع اهتداء بروح الآية 65 من سورة الزمر: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

وإعمال «منطق الأنفال»[4] المتكرر عند المرزوقي هو دعوة لتجسيد منطق واعٍ بتحديات المستقبل والاستعداد لها إعدادا للقوة التغييرية المنشودة. هذه القوة تستدعي ثنائية التجاوز المتصل والتجاوز المنفصل، حيث يستمد المرزوقي[5] مبدأ التجاوز المنفصل باعتباره مبدأ

(1) الإرادة والوجود، م س، ص 67.

(2) م ن، ص 48.

(3) م ن، ص 70.

(4) انطلاقا من الآية 60 من سورة الأنفال: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾. انظر: الإرادة والوجود، م س، ص 50 وص 134.

(5) الإرادة والوجود، م س، ص 50.

قرآنيا يعتبره سر الحريتين والإبداعين، ويقصد به النهي عن اتباع ما وجدنا عليه الآباء، ف«الأمة التي لا تتجدد تموت بالقشور التي تقتل البذور» والتجاوز المتصل أي المتصل ببناء المستقبل تجديدا لتأويلات الدين لا جوهره بعد جمودها كل لثلاثة أجيال.

بل إن التجديد عند المرزوقي[1] هو نجاح في اختبار قراءة المرجعيات بمنطق قرآني : منطق فصلت أمرا بالنظر في آيات الآفاق والأنفس بحثا متجددا عن الحق: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت،53]،ومنطق آل عمران نهيا عن اتباع المتشابه ابتغاء الفتنة: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران،7]

ويستمد مقبول القواعد العشر في الانتقال الآمن إلى الحكم الراشد من القرآن الكريم أساسا بمساعدة آليات التحليل الاجتماعي والنفسي ومن الخبرات المتراكمة لاستنباط أسرار الكتاب المنظور[2]، بل يؤكد أن «الإبداع المطلوب في نظرنا يبدأ من خلال إعادة قراءة المفاهيم القرآنية حية في السياق المعاصر في أفق صياغة الحركة المناسبة ورسم الطريق للعودة بفعالية إلى مسرح الحياة.[3]

وفي تحليله وتنظيره لعلاقة هرم النخب ووظائفها بقيام الأمم السوية، يؤكد أبو يعرب أن «الهرم» مستخرج من القرآن الكريم وليس من خياله.[4] وقاعدة الهرم هي الفروع الأربعة أي الإرادة والعلم والقدرة والحياة وقمته هي الأصل أي الرؤية الوجودية سواء كانت بصيغة دينية أو فلسفية .. والجوهر هو القيم الخمس منشود هذه المقومات.

كما يؤكد على أنه لا يمكن فهم الحقائق إلا بتتبع شبكة علاقاتها في نسيج الكيان الجمعي في الأعيان وصورته في الأذهان وذلك ما علمتنا إياه حبكة القرآن[5].

والبحث غني باستمداد الحكمة وفصل الخطاب من النص القرآني، والمقام لا يسعف لمزيد من الأمثلة، وما قدمته أعلاه لا يغني عن قراءة الكتاب وتصفح أسراره.

---

(1) م ن، ص 51.

(2) انظر: الإرادة والوجود، م س، ص 103.

(3) الإرادة والوجود، م س، ص 16.

(4) م ن، ص 54.

(5) م ن، ص 56.

## مسلك الموضوعية والجرأة النقدية:

تميز خطاب المرزوقي بالجرأة والصراحة التي لا تترك لك صديقا، وقد عبر عن ذلك صراحة «أعلم أن ما أكتبه هنا قد لا يُبقي لي صديقا من الماء إلى الماء. لكني أفضل صداقة السماء على أكاذيب ما بين الماء والماء»[1]؛ فهو ينتقد الحكام كما المعارضة سواء كانت إسلامية أو حداثية على اعتبار أن الجميع يسعى لإرضاء الحامي بالفعل وبالقوة لهما إن بشكل مباشر أو باسم فقه الواقع السخيف الذي يسمى زورا (الإكراهات) فيتنازل الجميع عن مقومات روح الأمة ..كما لا يجد حرجا في توجيه سهام النقد لما أنتجه التراث العربي الإسلامي المتأثر بأزمة الانكسار التاريخي الأول لكن دون مجانبة الموضوعية، حيث إنه «من الفضيلة عرفان الفضل لأصحابه، فقد يظن الكثير أن تركيزي على شروط بناء المستقبل أني أقلل من قيمة ما حققه الأجداد حتى بعد الانقلابين، لو فعلت لكنت من ناكري الجميل، فلولاهم لكان مصير حضارة الإسلام وعروة الوحدة الروحية الوثقى لأصابها ما أصاب مسيحية أوروبا لتأسيس الأمم على القومية.»[2]

ورغم اعتزال المرزوقي للعمل السياسي المباشر اعتزالا نهائيا فإنه لم يتخلّ عن الإسهام في الشأن العام من خلال التفكير والتذكير لأصحاب التدبير، بل إن اعتزاله هذا فتل في موضوعيته في تحليل المسألة السياسية المعاصرة في بعدها الفلسفي من خلال مواصلة جهد ابن خلدون لفهم العلاقة بين الخلقي والقانوني في السياسة بمعايير التوليف بين القانون الطبيعي والقانون الخلقي، من أجل تكوين الإنسان تكوينا يُخلِّصه من طغيان الحيوان على الإنسان فيه.. كما أن عامل السن عنده جعله يميل إلى العمل الفكري لأن فيه بغيته وغناءه فلا أغراض شخصية تحكمه في مواقفه.[3]

وما فتئ د.إدريس يوجه سهام النقد للتراكم التاريخي لفكرٍ متعددِ المدارس ومختلِف العناوين أنتج ذهنيةً صارت شبه مُسلَّمة عند المجتمع الإسلامي أثمرت استقالةً طوعية من وظيفة الرقابة والمبادرة السياسية، ف « حين يؤسس المجتمع لوجوده عبر استعادته للمبادرة ويقظته ومراقبته، سوف يستعيد كلمته التي سرقت منه لقرون طويلة، وسوف يضع حدا لمن يتكلمون باسمه خارج أي شرعية سواء كانوا «خاصة» أو «أهل حل وعقد» أو غير ذلك

(1) الإرادة والوجود، م س، ص 42.

(2) م ن، ص 48.

(3) الإرادة والوجود، م س، ص 95.

من العناوين التاريخية التي ضخمتها مدارس مختلفة ومتخاصمة، لكنها التقت في النهاية على تكوين ذهنية ..الخضوع والطاعة وإيثار السلام الموهوم على الحرية والعدالة.»[1]

## رابعا. «الإرادة والوجود » بين غنى الاستمداد وقوة الاستدراك

جدير بالذكر أن السياحة الفكرية بين فقرات كتاب «الإرادة والوجود» تمنحك متعة الاطلاع على مواقف سياسيين وآراء مفكرين وأحكام فقهاء وقواعد أصوليين متنوعي المشارب والأزمان؛ مما يدل على «غنى الاستمداد» المميز للكتاب.

هذا الاستمداد لا يعني التسليم المطلق بقول الآخر، بل إن « الاستدراك» حاضر بقوة كلما دعت الضرورة العلمية إلى ذلك مهما علا شأنُ المستمَدِّ منه، مما يُضفي نكهة الاستقلالية المبدعة على نتائج الأبحاث المقررة.

فحين يستمتع القارئ باستمداد الأستاذ مقبول من الجويني وابن القيم والشاطبي وابن عاشور على مستوى أصول الفقه، ومن ابن رشد وابن خلدون على مستوى النظر الفلسفي والاجتماعي، ومن ابن جني على المستوى اللغوي، وباستدعائه الكثيف لنصوص مقتبسة لمفكرين وفلاسفة عرب وغربيين.. فإن الأستاذ أبا يعرب لا يكاد يخرج عن فكر الثلاثي (الغزالي وابن تيمية وابن خلدون)، لا غرو في ذلك فهو يعدُّهم ممثلي التجديد الحقيقي[2]، بل ويدافع عنهم من النقد غير الموفق لبعض المحسوبين على الفكر، كما ينتقد تشويه منتسبي الحداثة ومنتسبي الأصالة - الذين يلقبهم ب «كاريكاتور التحديث» و»كاريكاتور الأصالة»- للحقائق العلمية الكبرى.[3]

وتظهر استدراكات د. مقبول في فقرات كثيرة، من أبرزها دعوته إلى تجاوز «تشاؤمية» ابن خلدون في نظريته عن العمران.

ومن جهة أخرى يلاحَظ أن د. مقبول يميل إلى الاستمداد من الأنكلوساكسونيين ويوظف غالبا الإنجليزية لغةً ثانية، في الوقت الذي يستمد المرزوقي من المعجم الفرنسي بعض المصطلحات حين يراها أكثر تعبيرا عن مراده.

(1) م ن، ص 61.
(2) م ن، ص 51.
(3) م ن، ص 47.

وليس غريبا أن يكتشف القارئ استمداد مقبول – وهو أمين سر المؤتمر العلمي الدولي الأول حول «مركزية القرآن الكريم في نظرية المنهاج النبوي - من نظرية المنهاج النبوي التي أثلها الإمام عبد السلام ياسين رحمه الله المرشد العام لجماعة العدل والإحسان المغربية.(1)

والجميل أن مقبول يستمد أيضا من زميله في الكتاب أبي يعرب المرزوقي (انظر مثلا ص:99 وص: 109).

## خامسا. الإمتاع في الإمداد وإحكام التقعيد

مما يميز الكتاب الذي بين أيدينا إضافة إلى ما سطرته أعلاه، هو ذلك الإمداد الممتع المتواصل بالمفاتيح المنهجية والمعرفية وصياغتها في شكل قواعد مُحكمة، وشروط لازمة، ومعادلات علمية واضحة متشابكة يفضي بعضها إلى بعض، أذكر إشارات إلى بعضها - داعيا قارئ هذه السطور إلى مطالعة «الإرادة والوجود» فهو عصي عن التلخيص أو الاختصار - فمن تلك القواعد:

**القواعد العشر في الانتقال الآمن**(2): 1 - قاعدة الحرية البانية المتخلقة 2 - الواقعية 3 - المصداقية 4 - النزاهة الإعلامية 5 - المرونة الحكيمة 6 - التدرج 7 - المشاركة والتقاسم 8 - العدل 9 - الوضوح 10 - اعتبار الأولويات.

**شروط المقاومة والقيام**(3): شروط الحماية مخمسة: قضاء، وأمن، ودبلوماسية، ودفاع، واستعلام – إعلام سياسي. وشروط الرعاية مخمسة: تربية، ومجتمع، وثقافة، واقتصاد، واستعلام- إعلام علمي.

**معادلة الثورة العربية الإسلامية:** تأسيسها النظري ومستوياتها الخمسة(4).

(1) راجع مثلا: مبحث «في شروط الانتقال ومترتباته» (مقبول ص 97) مع ما ورد حول شروط التغيير عند الإمام ياسين عند مقبول نفسه في كتابه القيم: «ما وراء السياسة، الموقف الأخلاقي في فكر عبد السلام ياسين»، إفريقيا الشرق،2016، ص 44 وما بعدها.

(2) الإرادة والوجود، م س، ص 103 وما بعدها.

(3) م ن، ص 133 وما بعدها.

(4) م ن، ص 71 وما بعدها.

لا يكون تطهير الأمة والدين من الخرافة والوثنية بالوعظ والإرشاد، بل بشروط الاجتهاد (شرط الحصانة الروحية) وبشروط الجهاد (شرط المناعة الذاتية)[1].

ومثلها عشرات القواعد والمعادلات المنثورة في ثنايا الكتاب.

## خاتمة:

إن ما قدمته أعلاه إنما هو جولة بين مقالات الكتاب وفقراته، لا تُغني إطلاقا عن قراءته وسبر أغوار أفكار صاحبيه بتعبيرهما وأسلوبهما الأصلي؛ فلم أقصد عرض ملخص للكتاب بقدر تقديم بيان لمسالك المؤلفين في عرض أفكارهما، مع الكشف عن أهم الإشكالات التي تعرضا لها، وبسط بعض الإجابات المنثورة هناك بشكل عَرَضي هنا. فليُراجَع الأصل.

وفي الختام، أسأل الله تعالى أن يمُن على الأمة بيقظة روحية أخلاقية ونهضة سياسية علمية تتجاوز بهما الأزمة المركبة التي تتخبط فيها منذ دهور، وأن تتظافر الجهود الفكرية والتربوية وتتشابك ليُبنى الجسر العابر إلى زمن الحكم الراشد ومجتمع العمران الأخوي، لينجبر ما تكسر من تاريخ الأمة وما فُقد من مقومات شهودها الحضاري. آمين.

(1) الإرادة والوجود، م س، ص 144.